

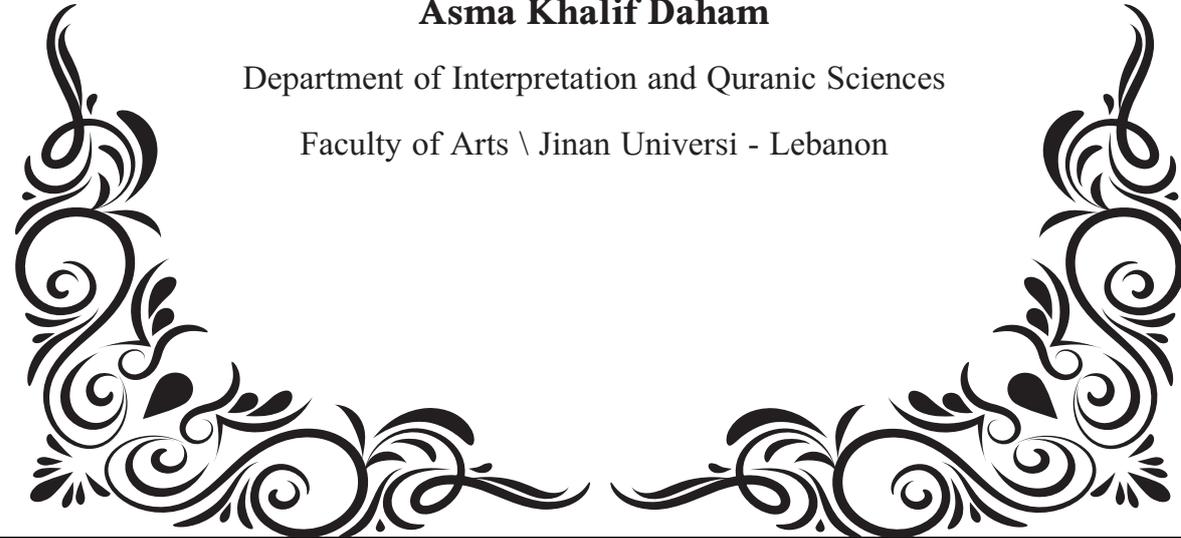


الإستئذان في أوقات الخلوّة
في سورة النور من الآية (٥٨-٦٠)
(دراسة موضوعية)

**Asking permission during times of seclusion
in Surat Al-Nur from verse (58-60)
Objective study**

أسماء خليف دحام
قسم التفسير وعلوم القرآن / كلية الآداب - جامعة الجنان - لبنان -

Asma Khalif Daham
Department of Interpretation and Quranic Sciences
Faculty of Arts \ Jinan Universi - Lebanon



Summary

الملخص

Chapter of Noor enriched the Islamic community by a set of legislations that would preserve the security and stability of the Islamic community. It urged concealment, chastity and purity, and commanded Muslims to lower their eyes and guard their chastity. It also required women to veil and cover up and commanded permission (when entering homes). For fear of violating sanctities, it is from (social etiquette), and then the etiquette of seeking permission (inside homes), which is for servants and children, as a person may be in his solitude, so Islam obligates asking permission even for young servants at three times, and he called it (genitals) so that they do not fall into their eyes on the genitals of their families, and finally He calls on women to hide their adornment in order to prevent provoking sedition, and excludes elderly women who do not stir up sedition. It allows them to take off their outer dresses, provided that their nakedness is not revealed and their genitals is not shown. It is better for them

أغنت سورة النور المجتمع الإسلامي بمجموعة من التشريعات التي من شأنها أن تحفظ للمجتمع الإسلامي أمنه واستقراره، فحثت على التستر والعفة والطهارة، وأمرت المسلمين أن يعضوا أبصارهم ويحفظوا فروجهم، كما وأوجبت على النساء التحجب والتستر وأمرت بالاستئذان (عند دخول البيوت) مخافة هتك الحرمات فهي من (الآداب الاجتماعية)، ومن ثم آدب الاستئذان (داخل البيوت) وهو للخدم والأطفال فقد يكون الأنسان في خلوته لذا أوجب الإسلام الاستئذان حتى على الخدم الصغار في ثلاثة أوقات وسماها (عورات) كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم، واخيراً يدعو النساء الى إخفاء الزينة منعاً لإثارة الفتن ويستثني النساء العجائز اللواتي لا يثرن فتنة، فيسمح لهن أن يخلعن ثيابهن الخارجية على أن لا تنكشف عورتاهن ولا تظهر زينتهن وخيراً لهن أن ييقين كاسيات متسترات وهذا هو (الاستعفاف) والله قولة حق وهو يهدي السبيل.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

to remain clothed and concealed. And this is (the resignation) and Allah is saying the truth and He guides the way.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أن خلق الاستئذان ينبغي أن يشاع في
المجتمع وأن يربى عليه الصغير والكبير، وأن
يتعلم أحكامه وآدابه كل مسلم لأنه يلامس حياة
الناس ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً ولأهمية هذا
الموضوع في حياة كل مسلم وقع الاختيار على
الكتابة في هذا الموضوع وأسميته (الاستئذان في
أوقات الخلوة)، وفيها محاولة لأحياء هذا الأدب
الرفيع في حياة الأمة وبيان أهميته فان كان صواباً
فمن الله تعالى فله الحمد، وأن كان الثاني فمني
وحدني طالبا العفو والمغفرة من الله .

* * *

أسباب اختيار هذا الموضوع:

- كان الدافع لاختيار هذا الموضوع ما يأتي:
- ١- عدم وجود دراسة مستوفاة وشاملة في هذا المجال .
 - ٢- واقع الحياة والناس في زماننا وخاصة في المجال التربوي والأخلاق والادبي .

أهمية هذا الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة

الموضوع الذي تعالجه، فهي تعالج قضية فيهما؟
 محورية وجوهرية وتعالج أدباً وخلقاً رفيعاً ويمكن
 أجمال أهمية هذه الدراسة كآتي :-
 ١- جاءت هذه الدراسة لتكشف حقيقة
 هذا الدين.

الفرضيات:

٢- حاجة المجتمع الإنساني عامة والإسلامي
 خاصة الى هذا الموضوع خصوصاً ما يتعلق منها
 بقضايا الأخلاق والآداب.
 ١- أخذ أدب الاستئذان حيز واسع من
 اهتمام القران والسنة لذلك نجد أدلة كثيرة في
 هذا الموضوع.
 ٢- تعليم الأطفال الآداب الإسلامية منها
 ٣- تكمل جانباً مهماً مما بدأ به السابقون.
 (الاستئذان عند الدخول) في الأوقات الثلاثة.

أهداف الدراسة:

تتلخص أهداف هذه الدراسة كآتي:
 ١- لفت الأنظار الى الآيات القرآنية والاحاديث
 النبوية التي تطرقت الى الاستئذان، وكيف عرض
 لها الشارع الحكيم الدروس المستنبطة منها.
 ٢- الإفادة من هذه النصوص الشرعية في
 حياة المسلمين أفراداً وجماعات لتثيت دعائم
 المجتمع الإسلامي.
 ٣- حث الناس على وجوب الالتزام بهذا
 الحكم الشرعي وهذا الأدب الإسلامي وتعليم
 الناشئة هذا الحكم التكليفي .

ما يميز هذه الدراسة :

١- تطرقت هذه الدراسة الى أساليب القران
 الكريم في التوجيه والتربية .

إشكالية الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة
 التالية:

(١) قدمت لنيل درجة الماجستير في أصول الدين من
 جامعة الأزهر، اشراف: أحمد السيد الكومي ١٩٨٠م جبر،
 حسن احمد محمد، رسالة ماجستير بعنوان: الاستئذان في
 القرآن الكريم.

١- مامدى اهتمام القران الكريم والسنة النبوية
 بأدب الاستئذان، وما المساحة التي حاز عليها

٢- جمعت كل ما جاء في موضوعها من القرآن والسنة.

٣- هي ليست دراسة في المجال الأخلاقي فحسب، بل جمعت بين المجال الفقهي والمجال الأخلاقي التربوي ومجال التفسير الموضوعي.

المطلب الأول: تعريف الاستئذان.

المطلب الثاني: التحليل اللفظي لكلمة

(ليستأذنك):

المطلب الثالث: المعنى الإجمالي لآيات

الاستئذان.

المطلب الرابع: سبب النزول واللطائف.

المبحث الثاني: الأحكام الشرعية في آية

الاستئذان وحكمة التشريع.

١- أستخرج الأحكام والحكم المستفادة في الآيات الثلاث من سورة النور، ومحاولة ربطها بالواقع الذي نعيشه.

٢- أتباع الأسلوب العلمي في توثيق المعلومات مع الأخذ بنظر الاعتبار علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف كما يقتضي البحث العلمي.

المطلب الأول: المخاطب في آية الاستئذان

ونوع الاستئذان..

المطلب الثاني: أقوال العلماء سن البلوغ الذي يلزم به التكليف وحكمة التشريع.

المطلب الثالث: الاستئذان الخاص في سورة النور.

المطلب الرابع: الاستئذان العام في سورة النور.

منهجية الدراسة:

١- أستخرج الأحكام والحكم المستفادة في الآيات الثلاث من سورة النور، ومحاولة ربطها بالواقع الذي نعيشه.

٢- أتباع الأسلوب العلمي في توثيق المعلومات مع الأخذ بنظر الاعتبار علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف كما يقتضي البحث العلمي.

٣- أستخرج الأحكام والحكم المستفادة في الآيات الثلاث من سورة النور، ومحاولة ربطها بالواقع الذي نعيشه.

٤- أتباع الأسلوب العلمي في توثيق المعلومات مع الأخذ بنظر الاعتبار علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف كما يقتضي البحث العلمي.

٥- أستخرج الأحكام والحكم المستفادة في الآيات الثلاث من سورة النور، ومحاولة ربطها بالواقع الذي نعيشه.

* * *

خطة البحث:

قامت الباحثة بتقسيم هذه الدراسة الى مقدمة ومبحثين وخاتمة شاملة للتوصيات، وضمنت كل مبحث عدة مطلب وعلى النحو التالي:

المبحث الاول: التحليل اللفظي والمعنى الإجمالي لآيات الاستئذان في أوقات الخلوة .

والتعريف الدقيق للإذن: هو السماح باعتقاد الشيء أو قوله أو فعله مع إمكانية ترتب ثواب أو عقاب على إتيان المأذون به، أو تركه على الرخصة والإباحة.^(٢)

المبحث الأول

التحليل اللفظي والمعنى الإجمالي لآيات الاستئذان في أوقات الخلوة

المطلب الثاني: التحليل اللفظي لكلمة

(ليستأذنك):

ليستأذنك: اللام لام الامر، واستأذن طلب الاذن، لان السين والتاء للطلب مثل استنصر طلب النصرة، واستغفر طلب المغفرة.^(٣)
اِخْتَلَفَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي الْمُرَادِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (لِيَسْتَأْذِنَكَ) عَلَى عِدَّةِ اقْوَالٍ:
الأول: انها منسوخة، قاله ابن جبير وابن مسيب.

الثاني: أنها ندب غير واجبة، قاله ابو قلابة، قَالَ: إِنَّمَا أُمِرُوا بِهَذَا نَظْرًا لَهُمْ.“
نظراً لهم ورعايةً لمصالحهم، وما كان من هذا الباب فإنه لا يصل إلى حد الوجوب عند بعضهم، لكن المقرر عند أهل العلم أن الأمر الأصل فيه الوجوب، واللام لام الأمر، فلا محيد عن القول بوجوبه.

المقدمة

فرض الله سبحانه وتعالى الاستئذان في أوقات الخلوة، لحفظ المجتمع وتطهيره، وسد سبل الشيطان ورفع الحرج عن البيت أو الناس الذين خصهم بالذكر في هذا المقال، لذا قد فصلت القول في هذا الفصل عن معنى الاستئذان كالآتي:

المطلب الأول: تعريف الاستئذان.

الإذن، العلم والإعلام، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٣] أي: إعلام. وأذن للشخص، أي: أباح له ذلك. واستأذن، طلب الإذن. والألف والسين والتاء، تفيد الطلب. فالعلم، والإعلام، والإباحة، والأنس، والنداء، معانٍ للاستئذان يتضمنه^(١).

اما بالنسبة للاصطلاح: قال الجرجاني في تعريف الإذن: هو «فك الحجر واطلاق التصرف لمن كان ممنوعاً شرعاً».

(٢) موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، المجلد الثاني، ص ٢٤٠.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤هـ، ج ١٨/ص ٢٩٦، المكتبة الشاملة.

(١) لسان العرب: ١٣/٩، وتهذيب اللغة: ١٥/١٥.

”الثالث: عنى بها النساء، قاله أبو عبد الرحمن السلمي.“
 نعم، وهذا مردود حقيقة، يعني به النساء؛ لأن (الذين) إنما وضعت في الأصل للذكور لا للنساء.
 قول ابن عمر يستحسنه أهل النظر؛ لأن الذين في كلام العرب تستخدم للرجال، وإذا ادخل معهم النساء يتوجب ورود الدليل، والكلام على ظاهره، غير ان في إسناده ليث بن ابي سليم.
 القول الخامس: كان ذلك واجباً، إذ كانوا لا غلق لهم ولا أبواب، ولو عاد الحال لعاد الوجوب، حكاها المهدي عن ابن عباس هل هو حكم سابق رُفِعَ بحكم متأخر، بمعنى أنه لا يعود ولو عادت العلة؟ يعني فرق بين قولنا: إنه منسوخ وبين قولنا: إنه كان واجباً إذ كانوا لا غلق لهم ولا أبواب ولو عاد الحال لعاد الوجوب، على القول الأول أنه لا يعود هذا الحكم إطلاقاً، خلاص رفع الحكم، رفع حكم المنسوخ بالناسخ، وعلى القول الخامس: يدور مع علته، إذا ألغيت الأبواب واكتفى الناس بالسُّتور عاد الحكم وإلا لا داعي له مع وجود هذه الأبواب.
 القول السادس: انها محكمة واجبة ثابتة على الرجال والنساء، وهو قول أكثر أهل العلم، منهم القاسم وجابر بن زيد والشعبي. واضعها قول السلمي؛ لان (الَّذِينَ) لا يكون للنساء في كلام العرب.“
 قول أبي عبد الرحمن السلمي أنها خاصة بالنساء، وهو القول الثالث الذي تقدم.
 يعني على سبيل الاستقلال، أما دخولهن تبعاً للرجال في (الذين) فهذا مطرد.
 ”انما يكون للنساء (اللواتي واللاتي). وهو قول ابن عمر يستحسنه أهل النظر؛ لأن الذين في كلام العرب تستخدم للرجال، وإذا ادخل معهم النساء يتوجب ورود الدليل، والكلام على ظاهره، غير ان في إسناده ليث بن ابي سليم.
 وضعفه معروف مقرر عند أهل العلم، وهو من الطبقة الدنيا بالنسبة لمسلم الذين قد يحتاج إليهم عند فقد أحاديث الطبقات العليا ينتقي من أحاديثهم.
 ”اما قول ابن عباس فروى أبو داود عن عبيد الله بن ابي يزيد سمع ابن عباس يقول: آية لم يؤمر بها أكثر الناس آية الاستئذان، واني لآمرٌ جاريتي ان تستأذن علي فالخطاب بقوله: (لِيَسْتَأْذِنَكُمْ) بمعنى الإذن أو الاستئذان مربوط بملك اليمين، (ملكك أيما نكمت) فالذي ليس عنده ملك يمين لا خادم ولا خادمة، يعني لا عبد ولا أمة لا يحتاجون استأذنون، فلا يتجه إليهم الخطاب في هذا. يعني لم يؤمر بها من ليس عنده ملك يمين، لا يتجه أمره بها
 بعض الروايات تقول: هنا الآية لم يؤمر بها أكثر الناس، ورواية أخرى تقول: يأمر به أكثر الناس. لأنهم لا غلاق لهم ولا أبواب، يعني بيوت من الشعر أو من المدر يتجاوزون ويتسمحون فيها كبيوت بعض القرى والأرياف والبوادي في

الأوقات، أما غير هذه الأوقات فلا أثم ولأخرج عليكم ولأعليهم في الدخول بغير إذن، وأما إذا بلغ هؤلاء الأطفال مبلغ الرجال فعلموهم الادب السامي الا يدخلوا عليكم الا بعد الاستئذان كما أمر الكبار من قبل، وذلك هو أدب الإسلام الذي ينبغي أن يتمسك به المؤمنون، وأما النساء العجائز اللاتي لا يرغبن في الزواج وقد انعدمت فيهن دوافع الشهوة والفتنة ولإغراء، فلأخرج أن يضعن بعض ثيابهن كالرداء والجلباب ويظهرن أمام الرجال بملابسهن المعتادة، وإذا بالغن في التستر والتعفف فذلك خير لهن وأكرم، والله يعلم خفايا النفوس، فتقوه واجتنبوا سخطه وعقابه.

المطلب الرابع: سبب النزول آية الاستئذان واللطائف:

أولاً: روي أن أسماء بنت أبي مرثد دخل عليها غلام كبير وقت كرهت دخول فأتت رسول الله ﷺ فقالت: ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرها فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم). (٢) وروي عن مقاتل بن حيان أنه قال: بلغنا أن رجلاً من الأنصار وامرأته (أسماء بنت أبي مرثد) صنعاً للبنين ﷺ طعاماً، فقالت أسماء: يا رسول

الصحاري فلا يوجد لهم أبواب محكمة تمنع من الدخول.

”وروي وكيع عن سفيان عن موسى بن أبي عائشة عن الشعبي قال: ليست بمنسوخة، قلت: إن الناس لا يعملون بها، قال: الله -عز وجل- المستعان.“

نعم لو أجمع الناس واتفق أهل العلم على عدم العمل بها لقلنا: إنها منسوخة، ودل الإجماع على وجود نسخ ولو لم نطلع عليه.

المطلب الثالث: المعنى الإجمالي لآيات الاستئذان.

يقول جل ثناؤه ما معناه: يا أيها المؤمنون الذين صدقوا بالله ورسوله وأيقنوا بشريعة الله نظاماً، ودستوراً ومنهاجا، ليستأذنكم في الدخول عليكم هؤلاء العبيد والإماء الذين تملكونهم بملك اليمين، والأطفال الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال من الاحرار فلا يدخلوا عليكم في هذه الأوقات الثلاثة وقت الفجر ووقت الظهر ووقت العشاء الا بأذن منكم لأن هذه الأوقات أوقات خلودكم الى النوم والراحة وهي أوقات يختل فيها تسترکم والتكشف فيها غالب، فعلموا عبيدكم وخدمكم وصبيانكم لا يدخلوا عليكم في هذه

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني اللوسي، علي عبد الباري عطيه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ص ٢٠٦.

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، تحقيق: احمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية: القاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م، (ج ١٢/ص ٥٤٤).

الله ما أقبح هذا؟ إنه ليدخل على المرأة وزوجها غلامهما وهما في ثوب واحد بغير اذن، فأنزل الله في ذلك هذه الآية يعني بها العبيد والإماء. (١) ثانيا: وروي ابن أبي حاتم عن السدي أنه قال: كان أناس من أصحاب رسول ﷺ يعجبهم أن يواقعوا نساءهم في هذه الساعات، فيغتسلوا ثم يخرجوا الى الصلاة فأمرهم الله تعالى أن يأمرؤا المملوكين والغلمان أن لا يدخلوا عليهم في تلك الساعات الا بأذن فذلك قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم). (٢)

اللطفية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهيرةِ﴾ صرّح تعالى في هذا الوقت بخلع الثياب وهو وقت القيلولة وعبر بقوله: (حين) للإشارة بقلة زمانها ولم يذكر وضع الثياب في الوقتين الأخيرين (العشاء) و(الفجر) وفي ذلك إشارة إلى أن أمرهما ظاهر بين لا يحتاج إلى تصريح، فإذا كان وقت الظهيرة لا يحل الدخول فيه إلا بعد الاستئذان فوق العشاء والفجر من باب أولى، لأنهما وقت الخلود إلى الراحة والنوم، والتكشّف فيهما غالب.

* * *

لطائف التفسير:

اللطفية الأولى: قوله تعالى: ﴿مِنْكُمْ﴾ يدل على أن المراد به الأطفال من الأحرار، لأن الله سبحانه قد ذكر العبيد والإماء بقوله: ﴿مَلَكَتْ أَيْمَانَكُمْ﴾ ثم عقب ذلك بقوله (منكم) فدلّت هذه المقابلة على أن المراد به الصغار من الأحرار.

اللطفية الثانية: قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَ مَرَاتٍ﴾ ليس المقصود الاستئذان ثلاث مرات، وإنما المراد به في (ثلاثة أوقات) بدليل ذكره تعالى الأوقات بعدها (الظهيرة، العشاء، والفجر) وهي

(١) فتح البيان في مقاصد القران، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، عبدالله بن إبراهيم الانصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، ج ٦/ص ٣٩٨.
(٢) الدر المنثور، عبدالرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ج ٥/ص ٥٥.

(٣) إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبو سعود)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار المصحف، القاهرة، ج ٤/ص ٧٢.

والنساء بطريق (التغليب). وقال الفخر الرازي: والأولى عندي أن الحكم ثابت في النساء بقياس جلي وذلك لأن النساء في باب حفظ العورة أشد حالاً من الرجال، فهذا الحكم لما ثبت في الرجال فثبوتها في النساء بطريق الأولى، كما أنّا نثبت حرمة الضرب بالقياس الجلي على حرمة التأفيف^(١). وقال أبو السعود: والخطاب إما للرجال خاصة، والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص أو (للفريقين) جميعاً بطريق التغليب^(٢). أقول: اختار بعض المفسرين رأياً آخر خلاصته: أن قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ليس خطاباً للذكور بطريق التغليب وإنما هو خطاب لكل من اتصف بالإيمان رجلاً كان أن امرأة فيدخل فيه (الرجال والنساء) معاً ويكون المعنى يا من اتصفتُم بالإيمان وصدقتم الله ورسوله ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدكم وإماؤكم.. إلخ، ولعل هذا الرأي أوجه. فكل نداء بالإيمان يراد منه الوصف فيشمل الذكور والإناث. والمراد بقوله: ﴿مَلَكْتُ أيمانكم﴾ في الآية الكريمة هو (العبيد والإماء) وظاهر قوله تعالى: ﴿الذين مَلَكْتُ أيمانكم﴾ أن الحكم خاص بالذكور، سواء أكانوا كباراً أم صغاراً، وبهذا الظاهر قال ابن عمر ومجاهد.

المبحث الثاني الأحكام الشرعية في آية الإستئذان وحكمة التشريع

المقدمة

ستتناول الباحثة في هذا المبحث الاحكام الشرعية في هذه الآية وحكمة التشريع والفئة المخاطبة. أن آداب الاستئذان داخل البيت أدب إسلامي رفيع يغفل عنه الكثيرون في أوقات الخلوة وهي الأوقات الثلاثة التي ذكرتها سابقاً. فلا بد أن يستأذن الخدم، وأن يستأذن الصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم، كي لا تقع انظارهم على عورات أهليهم وهو أدب يغفل عنه الكثيرون، مستهينين بأثاره النفسية والعصبية والخلقية، لذا يتحتم بيان هذا الموضوع كالاتي :

المطلب الأول: المخاطب في آية الاستئذان ونوع الاستئذان.

ظاهر قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أنه خطاب للرجال، وقد قال المفسرون: إنّ الآية نزلت في (أسماء بنت أبي مرثد) فيكون المراد فيها (الرجال والنساء) لأن التذكير يغلب التأنيث. ودخول سبب النزول في الحكم قطعي كما هو الراجح في الأصول فيكون الخطاب للرجال

(١) مفاتيح الغيب او التفسير الكبير، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ج٢٤، ص٢٨.
(٢) تفسير أبو السعود، ج٤، ص٧٢

واستدلوا بما روي عن ابن عمر رضي الله عنه (أنه عرض على النبي ﷺ يوم أُحدٍ وله أربع عشرة سنة فلم يُجزه، وعرض عليه يوم الخندق وله خمس عشرة سنة فأجازه)^(٢).

وقالوا: إنَّ العادة جارية ألاَّ يتأخر البلوغ في (الغلام والجارية) عن خمس عشرة سنة فيكون هو سن البلوغ الذي يصبح به الإنسان مكلفاً وذلك بحكم العادة.

قال الجصاص في تفسيره «أحكام القرآن»: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ يدل على بطلان قول من جعل حد البلوغ خمس عشرة سنة إذا لم يحتلم قبل ذلك، لأن الله تعالى لم يفرق بين من بلغها وبين من قصر عنها بعد أن لا يكون قد بلغ الحلم، وقد روي عن النبي ﷺ من جهات كثيرة.

«رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يُقَيِّق، وعن الصبي حتى يحتلم» ولم يفرق بين من بلغ خمس عشرة وبين من لم يبلغها.

وأما حديث ابن عمر: أنه عرض على النبي ﷺ يوم أُحدٍ.. إلخ فإنه مضطرب لأن الخندق كان في سنة خمس، وأحد في سنة ثلاث، فكيف يكون بينهما سنة؟ ثم مع ذلك فإن الإجازة في القتال لا تعلق لها بالبلوغ لأنه

المطلب الثاني: أقوال العلماء في سن البلوغ الذي يلزم به التكليف وحكمة التشريع.

أشارت الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾ إلى أن الطفل يصبح مكلفاً بمجرد الاحتلام وقد اتفق الفقهاء على أن الصبي إذا احتلم فقد بلغ وكذلك الجارية (الفتاة) إذا احتلمت أو حاضت أو حملت فقد بلغت. فالاحتلام علامة واضحة على بلوغ الصبي أو الجارية سن التكليف وهذا بإجماع الفقهاء لم يختلف فيه أحد.. ولكنهم اختلفوا في تقدير السن التي يصبح بها الإنسان مكلفاً على رأيين:

١- مذهب الحنفية في المشهور: إلى أن الطفل لا يكون بالغاً حتى يتم له ثماني عشرة سنة ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾^(١) وأشدُّ الصبي كما روي عن ابن عباس: أنه ثماني عشرة سنة، وأما الإناث فنشؤهن وإدراكهن يكون أسرع فنقص في حقهن سنة فيكون بلوغهن سبع عشرة سنة.

٢- مذهب الشافعية والحنابلة (الشافعي وأحمد وأبو يوسف) إلى أنه بلغ الغلام والجارية خمس عشرة سنة فقد بلغا وهو رواية عن أبي حنيفة أيضاً.

(٢) رواه الجماعة وفي مسند الامام احمد بن حنبل، أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد الشيباني، شعيب الارناؤوط عادل مرشد، الطبعة: الأولى، ج ٢٤/ص ٢٣٧.

(١) سورة الأنعام الآية: ١٥٢

للخدم والأطفال لئلا يطلعوا على العورات، فقد يكون الإنسان في حالة لا يحب أن يطلع عليه أحد، وقد يكون مع أهله في حالة لا يصح أن يدخل عليه فيها أحد. لذلك فقد أوجب الإسلام الاستئذان حتى على (الخدم والصغار) في ثلاثة أوقات وسماها (عورات) لانكشاف العورات فيها وفي هذه الأوقات الثلاثة لا بد أن يستأذن الخدم، وأن يستأذن الخدم، وأن يستأذن الصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم، كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم وهو أدب رفيع يُغفله الكثيرون في حياتهم، مستهينين بآثاره النفسية والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة، وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر

وهذا الأدب الإسلامي الرفيع لا نجده عند غير المسلمين، ويكفي الإسلام فخراً وشرفاً أنه دين (الأدب والستر) ودين الحشمة والوقار.

المطلب الثالث: الاستئذان الخاص

في سورة النور.
ظاهر الأمر في قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَأْذِنَكُمْ﴾ أنه للوجوب وبهذا الظاهر قال بعض العلماء. والجمهور على أنه أمر (استحباب وندب) وأنه من باب (التعليم والإرشاد) إلى محاسن الآداب. فالبالغ يستأذن في كل وقت، والطفل والمملوك يستأذنان في العورات الثلاث. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: (آية لا يؤمن بها أكثر الناس: آية

قد يُردّ البالغ لضعفه، ويجاز غير البالغ لقوته على القتال. وطاقته لحمل السلاح كما أجاز (رافع بن خديج) وردّ (سمرة بن جندب) ويدل عليه أنه يسأله عن الاحتلام ولا عن السن^(١).

تري الباحثة إن قول الجمهور هو القول الراجح لما علمنا أن مثل هذا إنما يثبت بحكم العادة، وقد جرت العادة في الأغلب على الاحتلام في مثل هذا السن، فيكون هو سن البلوغ المعتبر في التكليف. وقد نص فقهاء الحنفية على أن الفتوى بقول (الصاحبين) وهو رواية عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله أيضاً فيكون هو المعتبر، وكفى الله المؤمنين القتال.

في هذه الآيات الكريمة دعوة إلى الآداب الإنسانية (آداب البيوت) وتعليم للأمة أن يتمسكوا بالأخلاق الفاضلة التي ربّاهم عليها الإسلام، وأن يعلموا أطفالهم وخدمهم هذه الآداب الحميدة، لتبقى الأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم، في منأى عن المفاصد التي تعجّ بها المجتمعات الأخرى.

وقد تقدم في الآيات الكريمة السابقة قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾. ثم يأتي أدب الاستئذان (داخل البيوت) وهو

(١) احكام القرآن، احمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، محمد صادق القمحاوي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ج ٣/ص ٤٠٨.

(٢) سورة النور الآية: ٢٧

[الثور: ٢٧-٢٩] بعد أن كان المرء يقتحم دار صاحبه بدون استئذان فكان الخطاب صريح بقولة (لا تدخلوا) بالنهي عن دخول بيوت الآخرين وكان هذا النهي متجرد من جميع القرائن لذلك فهو يفيد التحريم. والنهي هنا للذكور والإناث لان استخدام الاسم الموصول في الخطاب لا

يخص الذكور دون الإناث، بل ذكر على سبيل التغليب أي ذكر الرجال غالب على ذكر النساء كما هو وارد في كثير من الخطابات والتكاليف الشرعية والتوجيهات.^(٣)

اختلف المفسرون في تفسير كلمة (الأنس) المذكور في الآية على قولين هما:

القول الأول: بمعنى الاستئذان، ورجح هذا القول ابن عباس و عكرمة والسدي ومقاتل^(٤)، وهو متعلق بالطمأنينة وزوال الوحشة عن النفس ومنع الريبة ولأنه يحمل في ثناياه طلب الأنس بالشيء^(٥)، لذلك الاستئناس بمعنى: أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم، مخبراً بذلك من

(٣) المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، عبدالكريم زيدان، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، (ج٣/ص٤٩٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج٦/ص٣٣)، التفسير البسيط، علي بن احمد بن محمد الواحددي، تحقيق: لجنة علمية من جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى، (١٤٣٠هـ/١٦/١٨٩).

(٥) روائع البيان تفسير آيات الاحكام، محمد بن علي الصابوني، الطبعة الثالثة، دمشق: مكتبة الغزالي وبيروت: مؤسسة مناهل العرفان، (١٤٠٠هـ/٢٠٠٠م)، مؤسسة الرسالة، (ج١٧/ص٢٤٦).

الإذن، وإني لأمر جاريتي أن تستأذن علي) وأشار إلى جارية عنده صغيرة.^(١) والآية محكمة لم ينسخها شيء على رأي الجمهور، وزعم بعضهم أنها منسوخة لأن عمل الصحابة والتابعين في الصدر الأول كان جارياً على خلافه.

المطلب الرابع: الاستئذان العام في سورة النور

بعد ذكر تفاصيل النوع الأول من الاستئذان وهو الخاص وهو صلب موضوع هذه الدراسة

فلا بد من شرح النوع الثاني هو الاستئذان العام، فذكر الله آيات كريمة فيها يعلم المسلمون افضل التحايا، وأمرهم بالاستئذان حفظاً على عورة المسلم، ولتلافي الاحراج والضيق والمشقة.^(٢) قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَارجِعُوا هُوَ أَزكى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

(١) تفسير الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري محمود بن عمر بن محمد بن احمد الخوارزمي الزمخشري جار الله أبو القاسم، دار المعرفة، الطبعة: ٣، ج٣/ص٢٠٠.

(٢) التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، (٦/١٣٩٦).

في الدار^(١).

القول الثاني: بمعنى الاستكشاف للحال أو الاستعلام وإمكانية الدخول أو الرجوع، فهو الإذن للدخول^(٤).

تحسس الأذن واستخبار^(٢).

تري الباحثة ان القول الراجح هو الرأي الأول وذلك لقوة الدليل في هذا القول؛ ففي قوله:

(لعلكم تذكرون) أي: تتعظون، وتعملوا بما أمرتم

به من الاستئذان^(٣). ولان لا يكفي في الدخول

على البيوت مجرد الاستكشاف والاستعلام، فلا

بد للمسلم أن يستأذن من يريد الدخول عليهم،

كأن يستسمحهم أو يلقي السلام عليهم، لأنه أولى لإقامة شرع الله وتطبيقه

وقد أجاز العلماء ترك الاستئذان في حالات

الطارئة، كأن يكون هجوم سارق أو حريق في

البيت أو وجود منكر. الا إن هذا لا يمنع من حرمة

التجسس على البيوت ووجوب الاستئذان؛ لان

الغرض من ترك الاستئذان هو تحقيق مصلحة

اعظم. اما ما ورد ذكره في آيات الاستئذان في

حالة عدم وجود احد في البيت فهو لم يشرع

لحفظ العورات بل لحفظ العورات مع أمتعتها

وما فيها من اسرار واموال لذا لا يجوز دخول

* * *

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد

بن كثير بن غالب الأملي الطبري(ت: ٣١٠هـ)، تحقيق:

أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)،

مؤسسة الرسالة،(ج١٧/ص٢٤٦).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري،

(ج٣/ص٢٢٦)

(٣) المصدر السابق، الزمخشري، (ج٣/ص٢٢٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج١٢/ص٢٢١).

(٥) احكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبوبكر

المعافري ابن العربي، (ت٥٤٣هـ)، تحقيق محمد عبدالقادر

عطا، الطبعة الثالثة، بيروت - لبنانك دار الكتب العلمية،

(ج٤/ص٨٨).

الخاتمة

المصادر والمراجع

- الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذه الدراسة فما كان من خير فهو بتوفيق من الله المنان، وما كان من نقص أو خطأ أو نسيان فهو مني والشيطان، وفي الختام أورد تلخيصاً لبعض والتوصيات التي توصلت إليها:
- أولاً: ضرورة استئذان الخدم من العبيد، والإماء في أوقات الخلوات.
- ثانياً: تعليم الأطفال الآداب الإسلامية منها (الاستئذان عند الدخول) في الأوقات الثلاثة.
- ثالثاً: لا يطلب من الخادم أن يستأذن في كل وقت لضرورة قيامه بالخدمة لسيدته.
- رابعاً: إذا بلغ الطفل سن (المراهقة) فعليه أن يستأذن قبل الدخول في جميع الأوقات.
- خامساً: لا يجوز للمسلمة أن تنكشف أمام الخدم من الغلمان إذا بلغوا مبلغ الرجال.
- سادساً: النساء العجائز لا يجب عليهن المبالغة في التستر والبس الجلباب لرفع الحرج عنهن.
- سابعاً: التبرج وإظهار الزينة أمام الأجانب يستوي فيه العجائز والإبكار.
- ١- أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، محمد صادق القمحاوي دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ/١٩٩٨م.
- ٢- إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبو سعود)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢هـ)، دار المصحف، القاهرة.
- ٣- الدر المنثور، عبدالرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت.
- ٤- روائع البيان تفسير آيات الاحكام، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الالوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، علي عبد الباري عطيه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ.
- ٦- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عبدالله بن إبراهيم الانصاري، المكتبة

العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت،
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل
في وجوه التأويل، الزمخشري محمود بن عمر
بن محمد بن احمد الخوارزمي الزمخشري
(ت: ٥٣٨هـ)، دار المعرفة، الطبعة: ٣- ١٤٠٧.

٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبدالله
أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد
الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، شعيب الأرنؤوط عادل
مرشد، الطبعة: الأولى - ١٤٢١هـ.

٩- مفاتيح الغيب او التفسير الكبير، أبو عبدالله
محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي
الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري
(ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت،
الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

* * *

الجامعة العراقية

